تقدير موقف

مؤتمر وارسو .. مكاسب إسرائيل وخسائر الخليج

مقدمة

بمشاركة 60 دولة من إجمالي 90 دولة دعيت له ، عُقد في العاصمة البولندية وارسو (مؤتمر الشرق الأوسط للسلام والأمن) بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية (من 13 إلى 14 فبراير/شباط الماضي)، جاءت فكرة المؤتمر في البداية كمقترح أمريكي لعقد اجتماع دولي من أجل الضغط على إيران، لكن عددا من الحلفاء الأوروبيين للولايات المتحدة لم يبدوا حماسا للفكرة.

لكن الواقع أثبت أن التركيز على إيران فقط من شأنه أن يسلط الضوء على الانقسام في المعسكر الأوروبي في أعقاب قرار إدارة ترامب الانسحاب من الاتفاق النووي بين إيران وقوى الغرب. لذلك تم التوسع في أجندة المؤتمر ليكون اجتماعا على المستوى الوزاري "يروج لمستقبل السلام والأمن في الشرق الأوسط." ولم يرد اسم إيران في جدول أعمال المؤتمر بعد أن توسع ليشمل بعض القضايا العامة مثل تحديات الأوضاع الإنسانية، وأوضاع اللاجئين، والحد من انتشار الصواريخ، وتهديدات القرن الحادي والعشرين مثل القرصنة الإلكترونية والإرهاب.

ويُعد مؤتمر وارسو الأولَ من نوعه الذي يجمع بين رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، وبين مسؤولين عرب، و لا يوجد جدول أعمال واضح للمؤتمر ، ورفضت أطراف مهمة حضور المؤتمر مثل روسيا والمفوضية الأوروبية والفلسطينيون وتركيا ،مع تمثيل متواضع لعدد من الدول مثل مصر وفرنسا وألمانيا، ولم تشارك من القوى الأوروبية بوزير الخارجية إلا بريطانيا، بينما يشارك بقوة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الذي يريد استغلال المؤتمر لدعم حملته الانتخابية. وهو ما أثار التساؤلات عن كون المؤتمر يمثل إطارا للرؤية الأمريكية للسلام في المنطقة التي تسعى لإعلان القبول العربي بالاحتلال الإسرائيلي والتطبيع معه بشكل كامل ، في ظل الاستعدادات الأمريكية المتسارعة لإعلان صفقة القرن.

يسعى تقدير الموقف إلى مناقشة المتغيرات الاقليمية التي عُقد المؤتمر في إطارها، ورصد مواقف الأطراف المختلفة من المؤتمر، وبيان مدى إمكانية تحقيق المؤتمر لأهدافه وفي مقدمتها تحجيمه للدور الإيراني في المنطقة.

الأجندة الأمريكية

تسعى واشنطن مع وزراء مؤتمر وارسو للضغط على أصدقائها من الدول العربية من أجل تأسيس تحالف إقليمي عسكري يعرف باسم "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي"، أو اختصارا بكلمة "ميسا(MESA) "، ويطلق عليه إعلامياً "الناتو العربي."

وترغب الإدارة الأمريكية في تأسيس التحالف الذي يضم -إضافة إلى بلاده- ثماني دول عربية، هي دول مجلس التعاون الخليجي الست ومصر والأردن، وذلك لمواجهة النفوذ الإيراني والعمل على استقرار المنطقة . وتسعى واشنطن كذلك الترويج "لمستقبل يعمه السلام والأمن في الشرق الأوسط"، كما ذكر بيان للبيت الأبيض.

ويبدو أن خلاصة الأجندة الأمريكية في مؤتمر وارسو إعادة تأكيد ما ردده ترامب خلال قمة الرياض في مايو/أيار 2017 من مطالبة الدول العربية والإسلامية بصورة مباشرة بضرورة مواجهة تنظيمي الدولة الإسلامية والقاعدة والتهديدات الإيرانية في المنطقة.

المتغيرات الاقليمية

جاء انعقاد مؤتمر وارسو في ظل أحداث ومتغيرات إقليمية مختلفة ، وتزامن مع وجود حالة سيولة وهرولة نحو التطبيع تشهدها علاقات بعض الدول مع الاحتلال الإسرائيلي، ومتزامناً في الوقت نفسه مع حالة من التشظي والانقسامات في العلاقات العربية، أبرز تجلياتها الأزمة الخليجية مع قطر المستمرة منذ 2017، وفي ظل استمرار تهديدات النفوذ الإيراني لدول المنطقة، بعد ترسيخ وجوده في العمق السوري والعراقي واللبناني، وبالمقابل ضعف تأثير العقوبات الأمريكية الاقتصادية على طهران للحد من نفوذها وتحجيم دورها في المنطقة.

كذلك يأتي هذا المؤتمر في ظل ترتيبات إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لإعلان صفقة القرن، أو الخطة الأمريكية للسلام في الشرق الأوسط ، ولعل المؤتمر جاء ممهداً لإعلان هذه الصفقة، التي يبدو أنه بات الإعلان عنها قريباً، وهذا ما تؤكده التحركات المكوكية لكوشنر صهر الرئيس ترامب و المبعوث الأمريكي للسلام في الشرق الأوسط .

كذلك يأتي المؤتمر متزامناً مع الذكرى الـ40 للثورة الإيرانية، وهذا قد يحمل دلالات دبلوماسية و مؤشراً لرغبة أمريكا إرسال رسالة لإيران في ذكرى ثورتها بأنها ماضية في الحد من نفوذها في المنطقة ، إضافة إلى

مواكبة انعقاد القمة العربية الأوروبية في شرم الشيخ المصرية التي عقدت بعد المؤتمر بأيام.

مواقف الأطراف الدولية

تتباين مواقف الدول المشاركة وغير المشاركة في المؤتمر حسب مصالحها الاستراتيجية والمحددات التي ترسم مسارات علاقاتها الخارجية سواء بأمريكا أو إسرائيل . وفيما يلى نرصد سياقات هذه المواقف ومحركاتها .

لماذا وارسو ؟

تُعد وارسو عضوا فاعلا في حلف شمال الأطلسي، وفي ضوء التاريخ الأسود لما تعرضت له على أيدي روسيا، يفهم دوافع التقارب بين المواقف الأمريكية والبولندية عبر عقد هذا المؤتمر . كما تستضيف بولندا مؤتمرا يناقش قضية المواقع الأمريكية المضادة للصواريخ الباليستية في أوروبا.

ويتلهف الكثير من البولنديين إلى رؤية قاعدة عسكرية أمريكية كاملة في بلادهم، والتي يطلقون عليها من الآن "فورت ترامب" أو قلعة ترامب، ما يجعل اختيار وارسو لعقد مؤتمر الشرق الأوسط قرارا دبلوماسيا رائعا بالنسبة للبولنديين.

الموقف الأمريكي

يبدو أن أمريكا الراعي الحقيقي للمؤتمر أكثر وضوحاً واتفاقاً مع إسرائيل المستفيد الأوحد من المؤتمر حيث إنها تسعى لإعادة ترتيب وضع المنطقة وفق تحالفات جديدة ،تدعمها سياسات التطبيع مع إسرائيل وتكون إسرائيل رأس الحربة في مواجهة التهديدات الإيرانية، وهو ما يفسر انسحاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من الاتفاق النووي مع إيران العام الماضي، وإعلان حزمة جديدة من العقوبات الاقتصادية عليها، وكذلك رغبة أمريكا في إعادة تحفيز الأوروبيين للانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران و إظهار قدرتها على حشد تحالف دولي هكذا ضدها.

ولاشك أن الإدارة الأمريكية سعت من خلال المؤتمر إلى الضغط مجددا على الأوروبيين ، بدا ذلك واضحا في تصريحات نائب الرئيس الأمريكي مايك بنس، التي صرح فيها أن إيران هي الراعي الأول للإرهاب في الشرق الأوسط، وأن على الدول الأوروبية أن تنسحب من الاتفاق النووي مع إيران كما فعلت أمريكا ، وإشادته بالعلاقة التي تربط إسرائيل بدول أخرى في المنطقة، تتقاسم معها الخبز- حسب قوله- فيه دلالة واضحة على أن الهدف الرئيسي من المؤتمر هو دفع العرب إلى المزيد من التطبيع مع إسرائيل تمهيدا لإعلان صفقة القرن .

الموقف الاسرائيلي

يبدو أن إسرائيل هى الرابح الأكبر من المؤتمر ، فالمؤتمر وإن بدا أن له أهدافاً أخرى لا علاقة لها بالشأن الإسرائيلي الداخلي بشكل مباشر، فإن انعقاده يأتي متزامناً مع الاستعدادات الإسرائيلية لإجراء الانتخابات النيابية المبكرة، وهو ما يشكل مكسباً لصالح بنيامين نتنياهو، وتحالفه في الانتخابات القادمة في أبريل/ نيسان، ولعل الرسالة التي يريد رئيس نتنياهو إيصالها هي نجاحه في كسر العزلة المضروبة على إسرائيل مع بعض الدول العربية؛ من خلال حضوره في اجتماع دولي يضم مسؤولون عرب على مستوى دبلوماسي رفيع ، إضافة إلى جلوسه بجوار وزير الخارجية اليمني، ولقائه بوزير الخارجية العماني، وقد صرح بعد عودته من المؤتمر عن تمكنه من زيارة أربع دول عربية، لم يعلن عنها، واعداً شعبه أن تكون هناك تطورات أخرى فى مسار تطوير العلاقات مع الدول العربية والتطبيع .

الموقف الإيراني

لاشك أن الموقف الإيراني هو المستهدف الأول بمؤتمر وارسو، ومع ذلك حاول أن يُظهر أنه غير مكترث به، وشكك في أهميته و عمل على التقليل من أثر التداعيات التي قد يسفر عنها ؛ إذ صرح وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف، أن المؤتمر ولد ميتاً ولا جديد فيه. ومن جهته قال علي أكبر صالحي، رئيس منظمة الطاقة الذرية: "إن إيران مكتفية ذاتياً، وتستطيع الصمود في وجه الضغوط والعقوبات."

وهذه التصريحات وإن بدت متماسكة فإن السؤال الذى يطرح نفسه : هل تمتلك إيران الوسائل اللازمة لترجمة خطابها السياسي العام لمواجهة الضغوط الدولية التى تريد الحد من نفوذها ؟

وكرد فعل أولي يمكن أن تُقرأ تأتي زيارة رئيس النظام السوري بشار الأسد المفاجئة إلى طهران، التي تعد الأولى من نوعها منذ اندلاع الثورة على نظامه عام 2011، كما نفذت إيران مناورات عسكرية في مضيق هرمز لتأكيد امتلاكها لأوراق ردع ذاتية وإمكانية ردها على أى عقوبات تصدر بشأنها .

الموقف الروسي

الموقف الروسي كان واضحا وقاطعا في رفض مؤتمر هكذا ، حيث قال نائب وزير الخارجية الروسية، ميخائيل بوغدانوف، إن المؤتمر الوزاري حول الشرق الأوسط الذي تنظمه الولايات المتحدة في بولندا يضر بالاستقرار والسلام في المنطقة. ووصفت الخارجية الروسية المؤتمر، في بيان لها، أنه لا يأخذ برأي دول الشرق الأوسط والدول من خارج الإقليم، علاوة على تجاهله الصراع العربي الإسرائيلي.

الموقف الخليجي

يبدو أن الموقف الخليج الداعم والحاضر بقوة في مؤتمر وارسو لازال متأثراً بمأساة غزو العراق للكويت عام 1990 والدور الأميركي الرئيسي في تحريرها، وهو ما يجعله دائما يدور في فلك السياسة الأمريكية في المنطقة ويرى ضرورة تدعيم علاقاته العسكرية مع واشنطن.ومن خلال الرصد نلمس أن الموقف الخليجي ليس على درجة واحدة من التفاعل مع مؤتمر وارسو فالموقف السعودي له أجندته الخاصة ويمكن فهم دوافعه من خلال المحددات التالية :

- اختارت الرياض أن تتجاهل تجاوزات ترامب المسيئة للسعودية، وشجعها خطابه المعادي للاتفاق النووي مع إيران وإقدامه على

الانسحاب من الاتفاق النووي وإعادة فرض عقوبات قاسية على إيران.

- رغبة الرياض الهروب من الوقوع تحت لائحة قانون جاستا - ومعناه العدالة في مواجهة رعاة النشاط الإرهابي- والذي أقره الكونغرس بما يشبه الإجماع قبل نهاية عام 2016. والذي فُصل كي يتم من خلاله توجيه الاتهام للمملكة السعودية وأعضاء أسرتها الحاكمة بالضلوع بصور مباشرة وغير مباشرة في هجمات 11 سبتمبر/أيلول 2001.
- يتلاقى الموقف السعودي مع رغبة الرئيس ترامب في إظهار أهمية ومكانة السعودية الجيوستراتيجية، وهو ما دفعه لعدم اتخاذ موقف متشدد من مقتل الكاتب الصحفي جمال خاشقجي.

أما بقية دول التحالف الاستراتيجي المزمع إنشاؤه فنجد أن قطر والكويت وعُمان يجمعها علاقات جيدة بالنظام الإيراني ولكنها تتعامل بمرونة مع السياسية الخارجية الأمريكية، أما مصر والأردن فلا يحملان نفس وجهة النظر الداعية إلى مواجهة إيران وعدائها بشكل مطلق يعزز ذلك بعدهما الجغرافي عنها ، وهما تهتمان أكثر بإسرائيل وبالصراع العربي الإسرائيلي . إلا أن مصر والأردن -في الوقت ذاته- تعتمدان بصورة كبيرة على مساعدات مالية وعسكرية واسعة من دول الخليج ومن الولايات المتحدة، وهو ما يعقد موقفهما ويفسر مشاركتهما في مؤتمر هكذا أجندته .

بالمجمل فقد عكس عدد الدول العربية الحاضرة في المؤتمر حجم تفاعلها مع المؤتمر وأهدافه؛ فقد شاركت فيه دول عربية عدة، منها: السعودية والبحرين والأردن والكويت والمغرب وعُمان ومصر والإمارات وتونس واليمن، وهذا الحضور العربي العالي، ولقاءات بعض المسؤولين العرب مع الوفد الإسرائيلي، حيث يرى مسؤولون عرب في المؤتمر خطوةً مهمة لتحجيم الدور الإيراني في المنطقة، من ذلك ما جاء في تغريدة لوزير الدولة للشؤون الخارجية السعودي، عادل الجبير، في صفحته على توتير حيث قال: "حضرت مؤتمر وارسو حول مستقبل السلام والأمن في الشرق الأوسط، وأجمع الجميع بأن التحديات التي تواجهنا يتصدرها الدور الإيراني في زعزعة أمن واستقرار المنطقة". وقريباً من هذا الموقف قالت صحيفة البيان الإماراتية في إحدى افتتاحياتها إن المؤتمر شكل "صدمة كبيرة لإيران وميليشيا الحوثي في اليمن، وكشف عن الوجه الإرهابي لطهران من خلال ميليشياتها المنتشرة في لبنان وسوريا والعراق واليمن، وخرجت الإدانات صريحة لسياسات إيران وتدخلاتها في شؤون الدول."

ومن الواضح أن دوافع الدول العربية الرئيسية المشاركة في المؤتمر وفق ما هو معلن ، تحجيم النفوذ الإيراني في المنطقة، في حين أن اللافت في المؤتمر- من خلال تصريحات المسؤولين والرسائل التي أرادها المؤتمرون - هو تجاوز خيار السلام العربي، وتجاوز المشروع الوطني الفلسطيني؛ من خلال التهيئة لصفقة القرن التى يجرى الاعداد للاعلان عنها قريباً.

الموقف الفلسطيني

الموقف من المؤتمر كان واضحاً منذ البداية ؛ وترجم ذلك سواء في غيابه أو في تصريحات المسؤولين الفلسطينيين، حيث اعتبرت وزارة الخارجية الفلسطينية أن مؤتمر وارسو "مؤامرة أمريكية تستهدف النيل من استقلالية القرارات السيادية للمشاركين بالمؤتمر حيال قضايا جوهرية تعتمد على مواقف مبدئية لهذه الدول، مثل الموقف من القضية الفلسطينية"، وقد وصفت حركة فتح المؤتمر بأنه "محاولة أمريكية إسرائيلية للترويج لأفكار لا يقبلها أو يتعاطى معها إلا كل خائن للقدس والأقصى"، ورأت الحركة أن هدف المؤتمر هو "تصفية القضية الفلسطينية."

الموقف الأوروبي

بدا الموقف الأوروبي من المؤتمر باهتا حيث لايزال في عمومه متمسكاً بالاتفاق النووي السابق مع إيران الذي وقعه الرئيس الأمريكي السابق أوباما مع إيران2015 ، وكان الهدف منه تخفيف العقوبات على إيران مقابل فرض قيود على برنامجها النووي ، وهذا ما يفسر تدني مستوى الحضور الأوروبي، ولعل هذا ما دعا نائب الرئيس الأمريكي إلى اتهام دول أوروبية بالالتفاف على العقوبات الاقتصادية على إيران.

السيناريوهات المتوقعة

فيما يبدو أن مؤتمر وارسو لم يكن سوى استمرار لنمط من المؤتمرات التي لا تؤدي لحلول ولا توصل لنتائج، فالبيئة الدولية التي ترتبط بهذا المؤتمر متخمة بصراع الأقطاب المختلفة. وبينما كان مؤتمر وارسو ينعقد كانت روسيا تعقد لقاء آخر على مستوى القمة بين الرئيس الروسي والتركي والإيراني.

ويبدو أن السيناريوهات المتوقعة والتداعيات المرتقبة على إثر مؤتمر هكذا ، والتي يمكن تلمسها من خلال مسارات المشهد السياسى الحالي في منطقة الشرق الأوسط والتصريحات والإشارات المتبادلة بين كافة الأطراف الدولية ذات الصلة تشير إلى أن هناك أهدافاً أكثر أهمية للمؤتمر غير معلنة، وربما هذا ما جعل المؤتمر يخرج من دون قرارات أو إجراءات معلنة تخص إيران على غير ما كان متوقعا أو مخططا له . ظهرت ملامح هذه الأهداف في ظل المساعي الأمريكية التي يقوم بها كوشنر في المنطقة لإتمام الملامح النهائية على صفقة القرن التي تهدف إلى تجاوز القضية الفلسطينية، وإدماج إسرائيل في المنظومة الإقليمية بشكل أوسع، وفيما يتعلق بإمكانية أن يسفر المؤتمر عن خطوات جادة لتحجِّيم النفوذ الإيراني، يبرز سيناريوهات ثلاثة :

السيناريو الأول: الاستقرار الحذر

يفترض هذا السيناريو الاستقرار الحذر و بقاء الوضع على ما هو عليه، متمثلاً في استمرار النفوذ الإيراني مقابل بقاء التهديدات والضغوط السياسية الأمريكية، دون أن تتمكن من دفع إيران إلى وقف تدخلاتها في شؤون دول المنطقة العربية، على فرض وجود رغبة أمريكية حقيقية لتحجيم دور إيران.

يعزز هذا السيناريو عدم تبني المؤتمر لأي قرارات أو إجراءات ضد إيران، وهو ما يرجح الرغبة الأمريكية في إبقاء إيران فزاعة للتهديد ؛ لكي تدفع الدول العربية نحو تطبيع علاقاتها مع كيان الاحتلال الإسرائيلي، قد تصل إلى الدخول في تحالفات أمنية، وهو ما يصب في اتجاه الأهداف الأخرى غير المعلنة، ومن ثم تبدو أكثر وضوحاً إضافة إلى التمسك الأوروبي بالاتفاقية النووية السابقة، أكده غيابهم الملاحظ عن المؤتمر، والرفض الروسي والصيني للمؤتمر وعدم المشاركة فيه، كل هذه المؤشرات توحي بأن هذا المؤتمر بالذات لن يقدم جديداً بخصوص تحجيم دور إيران في المنطقة. ويعد هذا هو السيناريو المرجح.

السيناريو الثاني: تحجيم النفوذ الإيراني

يفترض هذا السيناريو استمرار أمريكا فى تحجيم النفوذ الايراني حماية لمصالحها وحلفائها في المنطقة ، من خلال تشديد العقوبات الاقتصادية، وضرب مواقعها في سوريا، إضافة إلى أهداف أخرى، والتلويح بضرب منشآتها، وتشجيع المعارضة المسلحة داخل إيران؛ لكي تخضع للشروط الأمريكية، ولكن فرص نجاح هذا السيناريو يتوقف على إيجاد صيغ واتفاقيات جديدة للتعاون بين إسرائيل ودول المنطقة لاسيما الخليجية.

وعلى الرغم من أن وسائل ضغط هكذا قد تشكل فرصاً لتحقق هذا السيناريو، إلا أنها تظل محدودة، لامتلاك إيران أدوات قد تشعل حرباً تتضرر منها إسرائيل والمصالح الأمريكية في المنطقة. لذلك تبدو فرص تحقق السيناريو صعبة، لخطورة تداعيات الحرب، وتمسك كثير من الدول بالاتفاق النووي، وفي مقدمتها أوروبا وروسيا والصين.

السيناريو الثالث : مزيد من التطبيع لتصفية القضية الفلسطينية

يفترض السيناريو الثالث استمرار أمريكا فى تضخيم الخطر الايراني وتشديد الحصار عليها لابتزاز دول الخليج ودفعها بقوة للهرولة تجاه التطبيع مع إسرائيل في ظل انسحاب أمريكا من المنطقة كما أعلنت في سوريا ، لكن لا ننسى أن الخليج الذي حضر مؤتمر وارسو ليس متفقاً على حصار إيران والتصعيد معها تحت قيادة أمريكية إسرائيلية؛

فالكويت- على سبيل المثال- لديها تصور مختلف يتقاطع مع تصورات كل من الدوحة وعُمان حول عدم التصعيد مع إيران، والكويت لديها موقف مختلف تجاه التطبيع أعلنته مراراً قبل المؤتمر وبعده.

وكذلك قطر والكويت لديهما مواقف واضحة تجاه حقوق الشعب الفلسطيني. بل وحتى الوثيقة الإسرائيلية المسربة عن التطبيع أوضحت بأن السعودية لم تغير رسمياً ثوابتها من ضرورة تنازلات جوهرية للفلسطينيين قبل الإقدام على التطبيع.

وفرص تحقق هذا السيناريو ضعيفة لوجود تناقضات كثيرة فيما تسعى إليه الادارة الأمريكية . لاسيما في ظل الخطر على الدول العربية، خاصة تلك التي نسجت علاقات أمنية وتجارية خارج الأطر المعلنة مع إسرائيل، حيث إنها ستؤدي لوقوع أجهزتها ومؤسساتها في قبضة الاختراقات والكثير من قادة العرب المتورطين سرا في التطبيع بقوة مع .الإسرائيلية إسرائيل بالتحديد لا يدركون مدى تأثير تصفية القضية الفلسطينية على شعوبهم، ولا يدركون مدى خطورة التحالف مع إسرائيل من أجل التصدي لإيران.